



«الدخول لخباء الأئمة»

عن قصة الشهيد^(*)

جمال سعد سلطان السالم

بقلم

إستبرق أحمد

(*) تمت الاستعانة ببحوثات الشهيد من كتاب د. نجاة عبدالقادر الجاسم: شهداء الكويت، بطولاتهم وتضحياتهم، الجزء الثاني، ص ٨٧ - ٩٢.

الدخول لخباء الأئمة

- ١ -





فهرسة
مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

813 أحمد ، استبرق. الدخول لخباء الألم: الشهيد جمال سلطان السالم / استبرق أحمد . - ط2. - الكويت: مكتب الشهيد، 2013 21 ص ؛ 21 سم. - (بصمات في تاريخ الكويت) ردمك : 1 - 39 - 84 - 99906 - 978 1 - القصة العربية - الكويت. 2 - الشهيد جمال سلطان السالم أ- العنوان. ب- السلسلة
ردمك : 1 - 39 - 84 - 99906 - 978 رقم الايداع : 2011 / 064

الدخول لخباء الألم

- ٢ -





«إهداء»

إلى أرضي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضحية والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

الدخول لخباء الألم

- ٢ -





إن كانت المعاناة والآلام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشعراً
وفناً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي
انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياسية والاجتماعية والإنسانية التي
عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشهر الاحتلال
الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة
الرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم
والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

في مجموعتنا « **بصمات في تاريخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد
أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين على المحتل، وإرادة النصر على
الغاصب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض
والعرض. فعندما تحقق النصر وطُرد الغزاة حكمت اليراعات الكويتية
قصص بطولات، ووثقت معارك شرف وملاحم شرسة، خاضها ضد المحتل،
شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال،
وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا
الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا
العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن
وتقديسه، ووفاء لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد

المدير العام لمكتب الشهيد

فاطمة أحمد الأمير

الدخول لخباء الألم

- ٤ -





علمت جزما أن السماوات سبع .
وتثق الآن - أكثر من أي وقت مضى - أن الجنان طباقا ..
سبع .

والساعة التي دلفت بها لداخل عالم البداية . قيل لربما
هي السابعة أيضا أو بما يسبق ذلك .
فمنذ ذلك اليوم والروايات لا تكف عن إيراد أحاديثها
المختلفة عنك ..
إلا أن الرواية هذه هي الأقرب لمعين الصدق .

«اتجاه الأخبار»

تعرف طريق عملك تماما، بمسالكه وزواياه المكررة،
باستسلام مسارك لذاكرة تحترف المرور فيه حتى بلا وعي
ولا إرادة - وبه تعلم أيضا جلوت طريق السماء والجنان .
فوق ذات الطريق الإسفلتي العاجز عن إرسال تأوهاتة في
إياباتك وقدوماتك أنت ورفاقك، مضيت في اليوم المشهود .
لم يكن طريقا تشتاق إليه إلا حين تفارقه في إجازاتك ..
أو أحد أسفارك لتحصيل دراسي في بقعة أخرى في بلد ما ،
هنا فقط حين ترجع إليه تتوله لضغط عجلات سيارتك عليه ،
تفرح بعودتك لرفقته ولاستسلامه لك ..
تحبه لأنه يسلمك لمقر عملك الموجود كيانه فارها في
أحلامك .





دوم...دوم..دوم

تاك تاك تاك تاك

صرخات بارودية تشطر الهواء وتشق الأمكنة، تعلمتم مرارا
كيف تفرغونها في مواجهة أي أخطار تحدّق بقدسية البلاد.

أصوات يلعلع صداها اللاهب في تدريبات جديدة،
محمومة، خطيرة، جميعها لتهيئتكم للحظة مجهولة قد تأتي
لدغدتها من مكن ما ..

لكنها الآن تكشف طريقك السعيد لتحيه لطريق كئيب،
خائف، منذهل.. مشوّه.

تزداد سرعتك، كلما رجف قلبك حبا وخوفا من ورود
أخبار أكثر قسوة استيقظت على سوادها ...

متشنج فخذك وفكك، ويداك تقبضان على المقود،
وعيناك لا ترفان، تغمضهما بقوة وتفتحهما على اتساعهما
غير مصدق ما يحدث، عرق ... عرق ... عرق ميثوث في
أنحائك يسيل وضربات.. ضربات.. ضربات قلبك متوحشة
التواتر.

والأخبار موجودة في رأسك الذي تهزه لتدوخ الأفكار
المتعاقب سخطها وصرخاتها الجائعة للهمود..

الدخول لخباء الألم

- ٦ -





ياصباحات الولادة للألم، الحزن، الهم. أي هواء تشتم
فيه رائحة السلاح ونفث الحرائق وأعاصير الموت..

هنا أنت تقترب حثيثا وتقف، أمامك سيارات رفاق تحجب
عنك البوابة وتساؤل طاحن يشق تفكيرك.

من أي البوابات ستدلف لعالم مزدحم باللوعة والذعر
والارتباك؟

أسيهيدك حال القاعدة القابع وراء البوابة إجابة ناجعة
حول حالها وكيفية عونها؟

أسئلة تسيح في ذهنك وترتج في وعاء العقل..

ما أن انتظرت قليلا حتى مثلت أمامك ثياب كالحة يخطر
صحبها أمامك، مغبرة غير واضحة الدلالة عمن يشغرها..

اقتربت أكثر منك كان ضابط يسد بوابة شرعت فكيفها
لحكايا غائمة..

فاردا جسده أمرك بخشونة.

- انزل حالا.





«دم»

قاني، مسكوب، لزج..

نابضا، مختلطاً ويتخبط بتراب ساخن، تم إحضاره من
«بنك الدم» عبر مطالبات لحوحة من أجلك، مرتجا ببطء في
أكياس مكتنزة تشف عن قرمزيتة الداكنة، اقتيد إلى القاعدة
والهدف الوصول إليك، لا يهم من أي يد كان نابضا المهم أنه
سيشغل يديك، ليمدك بأمل لا يهن وليساعدك فلا تسقط في
جب النهاية....

دم كثيف الثخونة، ورجال يسرعون به لاحتياجك الماس
له.

يستوقفون عند بوابة العراك، الاحتدام، ينتظرون السماح
لهم بالدخول.

تأخر الإذن، عاود الرجال/ المسعفون المطالبة بالمرور
لإجابة نداءات الاستغاثة، انخرطوا في جدال مشجوج المعنى
حول ضرورته القصوى.. كانوا يتوسلون:

- دعونا دم، هناك من يحتاجه جدا

والعدو يجيبهم:

- ممنوع الدخول، لا أوامر لنا بالسماح.

الدخول لخباء الأثم

- ٨ -





كانوا يرجونهم:

- ليس معنا شيء إلا هذا الدم، اتصلوا وخذوا الأمر.

بغضب هادر:

- قلنا كفى.

وبغيظ يقترب الصداميون من المسعفين، بغضب جامع
يأخذون أكياس الدم وتأتي الفاجعة..

ليلج الصمت الألسن بضراوته الخارقة، ينصب مشانقه
للكلام، وجراح تنفس بحرقه وتوغل اضطراب الأسى
واضطراب آسف في النفس ليشهدوا في غم فاحش

خرق، إلقاء، وإراقة الدم المجلوب إليك، بلا أدنى تريث
أو تفكير..

واحد

اثنان

ثلاثة

أربعة

لا يعرف عدد الأكياس الملقاة أرضاً، متكومة على جرحها
بلامبالاة ونائية عن هدفها بالوصول لك يا «جمال»، مسفوحة

الدخول لخباء الألم

- ٩ -





على أرض كابية الحزن إزاء عريضة الظلام/ العدو في مصيرك،
رفاقك الضباط يتوسلون، والظلام/ العدو يقذف المساواة في
جوه الرحمة، يرفض أن تواصل أكياس الدم طريقها لتقديم
النجاة لك، قاصدا أن يتقصى الإنهاك طريقه إليك ويدركك
الغياب، بينما أنت مُسجى داخلا والغزارة تنزف من ثقوب
الجسد الطري.

يأخذ حتى ناقلي الدم لداخل القاعدة ويترك دمك يسخن،
يجف في جبين الأرض التعبية.

«الثقب»

- إنزل حالا

تتذكر أربعة أحرف مترعة بالأوامر الساخطة.

يتبعها:

دهشة، ارتباك.

وترفض الامتثال.

- إنزل الآن.

تنظر لمصدر الطلب المشحون غضبا، يزداد هدير الأفكار
في داخلك، تتغلغل بأسئلة.

- هل احتلوا القاعدة بأكملها؟

الدخول لخباء الأثم





- كيف التحرر من هذه اللحظة والخلاص؟

- من بقي من الرفاق، من قتل؟

تميل بجانبك، أصابعك تستطيل محاولة الوصول
لسلاحك القصي المخبوء في درج المركبة/ الوانيت، ولا
يتوقف الجندي المائل بغلظته من التردد، التهديد ..

- إنزل بسرعة وإلا ..

تماطل وتشتتم سلاحك اللعين في داخلك مرارا بمرارة،
تحاول أن تطيل اللحظات كسبا لوقت شحيح، بينما السلاح
يراوغ القدوم إليك جاهلا تماما حاجتك الماسة لانطلاقته
النارية، والوغد تلحظ بصوته الأجش رعشة الخوف
والاضطراب يصرخ فيك.

- إنزل الآن، لا تتلكأ

محاولة أخيرة منك تتكيء على جنبك الأيمن وتميل أكثر
لتقرب أصابعك السلاح وتجذبه نحوك ..

ويلمح البصر مدرارا تنهال وتتهمر الثقوب سراعا ...

حارقة، طاعنة، شاقة، لاسعة

تبطش في جسدك لتصلبك وشهيقك على لوح الألم ..

تشهق مرة أخرى





تحاول استذكار ملمس لونه، تحبه أم لا؟ تضحك حين تفكر أي أهمية للونه.. وتعبس حين تتذكر ضحكاتهم حين أركبوك إياه...

- دعونا نسعفه

- سنأخذه للداخل

- يحتاج أن يسجى ويوقف نزيفه.

قال الرفاق عبارات متوسلة تقاطعت ببعضها إلا أنها بدت هادفة لمنجاتك.

- سنسعه نحن بطريقتنا.

- كفوا عن الكلام، نحن من سيتولى أمره.

- ألا تظهمون قلنا إننا سنركبه الوانيت ونلقيه في العيادة.

قالوا هم كلماتهم بغيظ جارف ظهر جيدا أن مرادها العبث بمصيرك.

يزداد السواد.. بقع من الأبيض تشق طريقها عبر اكتظاظ رائحة الأسود العطنة، يجذبونك لأجسادهم الوافرة قوة وطغيانا.

يحملونك على الوقوف تنتزع من الأرض، يشدونك شدا لتستقيم على تعب أشواك مدببة لا تلين، يمضون بك





«للوانيت» تراه قابعا كابي النظرة، تسكنه عبرات لا يفلتها،
يلقونك على جسده فتخترقك غصاته، كنت معبرها للخارج..
عندما قذفوك فيه وحين ركب الجند بجوارك ومن حولك
وقاد ضابطهم الوانيت.

وحدك ترى اهتزازات الوانيت بكاءه المر وشهقاته، عند
كل توقف تعلم أنه أضحى أكثر إنهاكا..

تضادات تمثل أمامك وهم يدورون بك في الوانيت ترى
القاعدة وفق صور متسارعة بالتضاد والإنكسار .. :

١

انتشار الوجوه الكالحة.. لجنود العدو.

اختفاء الوجوه الحبيبة لرفائك العسكريين في القاعدة.

٢

فوضى لا تلين إعصاراتها الدامية في هذا اليوم.

انتظام لا تخترق حلقاته الصارمة في الأيام السابقة.

٣

ضحكات قارصة البرودة يطلقها جنود تستهين بدمك
المنقذ من دهاليز ثقوبك.

الدخول لخباء الألم





توسلات رفاق للتوقف عن استمرار جرجرتك وأنت على سطح الوانيت في غدوات ورجوعات هدفها إطالة وقت نجدتك .

«الإغاثة»

وصلت بملل الضباط من لعبته/ أنت، كز الضابط على أسنانه ودوزن ما بين رتابة ما يفعل بك وبين الوصول لاستلذاذ آخر عبر لعبة أخرى، فكر وعلى مضض وافق على إجابة رفاقك فأخذت للداخل بينما مضى هو لإفراغ وحشيته في أجساد وأماكن أخرى.

جاءك «محمد أسامة» تلقاك من رفاقك بلكنته المصرية وطنية روحه وإنسانية مهنته، كنت تراه وهدوءه دوما يخطر في تفان بين جنبات القاعدة، خبرته لا يتعاس عن تنفيذ مهامه بألية المتمكن،اليوم نظراته معضرة بالارتباك التفاتاته سريعة، خشونة صوت الإنهاك في أوامره، صرخات الخارج والجرحى ترتقي كاهليه فتحنيه، تناثر المعدات الطبية، وجرحى متهالكين في جنبات العيادة، بيد تشظي المشهد وتداعيه صرخات متوحشة ومذعورة وأزيز الآلات وصخب مركبات عسكرية ينحشر في العيادة ويضح فيها، تراه رغم ذلك...

ينحني، يعاين، يحقن، يضمد، يمسح، يخيظ.. الثقوب ويزفر تنهيده، تجد نفسك منقادا للتخفيف عليه وعليك..





فتنهض تعليقا رطبا بالمرح.. لتمرق ابتسامه عجول بين
شفاهه..

هكذا قيل عنك.. «رغم المصاب كان فيض تفاؤل»

وإزاء نرفك المنفلت برعونة تتفجر في ثيابك الرطبة،
مكانك، ضمادك، صرح لك...

- يجب أن نجلب لك دما..

- هل سيوافقون؟..

- سنحاول، سأتصل على بنك الدم ليعجلوا به.

عاود الاتصال تكرارا رغم تطميناتهم، بينما بت تشعر بأن
يداً خفية تكوم الخدر في جسدك...

استطاعوا أخيرا جلبوا كيسا واحدا يحقنك بالحياة، ما
علمت أو لربما عرفت أنهم سكبوا الدم ولم ينقذ إلا كيسا
يتيما وأن المسعفين اقتيدوا لداخل القاعدة هم أيضا..
واحتجزوا.

«البدائية»

يمتص جسدك بثقوبه المفتوحة على الهاوي كيس الدم،
وتبقى في ظمأ للمزيد..





بدأت بـ رؤية الناس بملامح تغفل كل التفاصيل وصور
مشوشة، مضببة.

- تشعر الحياة تعرف منك بلا هوادة وأنتك تدلف لأقاليم
أخرى.

- الأصوات ثقيلة وبطيئة، لا تنفذ لوعيك تشعرها
تشجعك على المقاومة.

- تناقل يشغل كل جسدك المسجى في العيادة.

يهز بدنك البعض..

- تشجع جمال، أنت أقوى.

بودك لو ترد، حتى حيوية روحك وتفائلك بدأ ينسل
ويغادر، كنت رغم تعبك تضاحك من حولك وتثق برب
النجاة لكن الدم من ثقبك يتمادى في غزارة لا تكف ولا
تروي...

تحادث نفسك:

- لا تستسلم.

تعاود الكرة مرارا.. إلا أنه

ينهمر وينهمر الساخن ولا من كيس جديد يزودك
بالحياة..

يتدفق بجنون دمك الغامر ولا من ضماد أو تقطيبية





تفلق ثقبوك المفتوحة.. كما مضى الوقت قيد آخر تستشعره
يحيط بجسدك يثقله حتى الابتسامة والكلمة أصبح هذا
الثقل يبطش بمحاولاتك الحثيثة للاقتراب منهما فما بالك
بتحريك جسدك، ثني رجلك المجتاحة بتميل مريع، رفع
جذعك الخائر إلا من سكب الدماء واحتضان حرقه الثقوب/
الجروح المهتاجة..

صوت خافت وباهت يوشوش لك لم تنتبه له إلا حين
مضت الأشياء تمحى وتعاود التشكل، تختفي وتظهر لمدد
تزداد طولاً..

صوت ذو نبرة عذبة ومختلفة، همس لك:

- جمال.. تسمعني؟

تجيبه في سرك

- أسمعك

سنذهب معا..

- استجبت سريعاً.

نعم

- برهافة أمرك:

- هيا

يمتد بصرك في العيادة وفوضاها وفي وجوه الضباط/





الرفاق، تعبء هواء الدنيا وتزفره في أنااة، يد تمتد إليك،
كلمات صاحب اليد أصبحت لحناً لا تعرف لها شبيها، ترفع
رأسك وتبتسم إليه.

ويخر رأسك للأسفل بينما كيائك الجديد يرحل
للأعلى...

«المكان»

لفوك شعرت بالغطاء يحيطك واسمك يخط على غطائك
علمت ذلك حين شعرت بالقلم يخرق الغطاء فتهجيت
الكتابة..

نزفت ثلاث ساعات وتوفيت ظهرا

نزفت أكثر من ثلاث ساعات ومت في السادسة مساءً..

نزيف الروايات عنك متغير دائماً

قيل إنك..

منذ البداية ما ركنت للهواء، منذ البداية فشغلت البوابة
بالمقاومة وعاونت وأطلقت منذ وصولك للبوابة الشمالية
رصاصاتك الساحقة جنودا بلغ عددهم تسعة ما بين مصاب
ذاو وقتيل خائر وأن وحده سلاح الـ R.B.G اقتتصك، أوقف
زحف الموت القادم من بين يديك...

الدخول لخباء الألم





وفي تضاد قبيل إنك

ما أمهلت لتدافع وتدفع الشر القادم من البوابة، قد حاولت حين رفضت الانصياع لأوامر تطلب منك النزول من وانيتك أملا بأن تشق رصاصاتك الطريق لمطلق الأوامر وجنود الغدر المكتظة بهم القاعدة ولم يطل صبرهم فأردوك برصاصاتهم..

لكن أيهمك حقا ما قيل وما يقال؟

الآن رأسك المرتخي، وجسدك الفاني.. يلف ويوضع في ثلاجة القاعدة ترى شيئا مسجى بجانبك، أخبرك لاحقا أنه كان في منطقة «الوفرة» حين فوجيء بهم يأتون بمجاميع، مركبات عسكرية، آلات من كل فج ومكان بإيقاع الكثرة والشراسة..

ليلحه غدر الجنود الأعداد ورصاصهم... بلا أدنى تردد أو مراجعة للضمير.

تهرع الأصوات جافة، خانقة..

تستشف منها أوامر للأعداء تحث مجبرة وملاحقة جميع رفاقك بالخروج والامتثال لأمر نقلهم للمعتقلات الصدامية..

تسمع الشتائم اللاذعة والتعبيرات البذيئة للعدو في إحكامه السيطرة على القاعدة وتفرده..





لا يهملك

يأخذك العدو.. بعد بضعة أيام، تعلم أنهم الأعداء في مناقشاتهم حول إجبار خمسة من الضباط/ رفاقك لتدريبهم كيفية استخدام المعدات والزوارق تضاحكهم حول توسلات صعبك بضرورة إكرامك بدفنك سريعا وتقاেসهم عن ذلك، تعلم أنهم من جنود العدو في جذبهم لجثمانك بقسوة جبلوا عليها ليحملوك ويلقوا بك على أرضك، فتحتضنك بهناء وحنان..

قيل إنك دفنت في زاوية عند البوابة الرئيسية باتجاه الحائط...

حفر المكان.. ولم يعثر عليك.

قيل إنك وضعت بمكان باتجاهه المطافيء

نبش الموقع ولم يجدك محبيك.

قيل الكثير والعديد والمختلف عن مكانك..

ولم يستدل على رفاتك الغالي منذ أن حلقت في السماوات السبع خفيفا .. خفيفا .

« ١ - الوانيت: مركبة نقل.

الدخول لخباء الألم







